سيميائية الأهواء في معلقة طرفة بن العبد – هوى حب اللذة أنموذجاً

د. محمد علي صالح القبلاني

أستاذ الأدب القديم المساعد قسم اللغة العربية

كلية الآداب جامعة اب

ملخص البحث:

يتناول هذا البحث سيميائية الأهواء في معلقة طرفة بن العبد، تنظيراً وتطبيقاً، اشتمل الجانب التنظيري على تتبع مدلول الهوى قديماً وحديثاً، وصولاً إلى رصد أهم الدراسات إلى اهتمت بسيميائية الأهواء، حتى أصبحت منهجاً نقدياً في تحليل الخطاب.

أما الجانب التطبيقي فقد خصص لدراسة هوى حب اللذة في معلقة طرفة بن العبد على وفق منهج سيميائية الأهواء، بهدف الوقوف على تمظهرات هوى حب اللذة في المعلقة، بدءاً بالتمظهرات الدلالية المعجمية الثقافية خارج المعلقة ، وتمظهرات هوى حب اللذة داخل المعلقة عبر التمظهر بطريقة مباشرة وغير مباشرة ، ثم رصد وتحليل انتظام هوى حب اللذة عبر الخطاطة الاستهوائية التي تبدأ بمرحلة التكوين وتنتهي بمرحلة التقويم الأخلاقي.

وقد توصل البحث إلى جملة من النتائج من أهمها:

- حققت تعاضد عاطفة الذات مع مقدرتها الشعرية على توجيه بناء النص على مستوى الشكل والمضمون، ومنح النص فاعلية التخطيب الذي يفرض أثره على المتلقي، فحقق هوى حب اللذة لذة للمتلقي تجسدت في بنية النص الكلية.
- كشف هوى حب اللذة في المعلقة عن نسق ثقافي مضمر، استطاعت الذات عبر هذا النسق تحويل هوى حب اللذة من هوى سلبي إلى هوى إيجابي متقبل بين أفراد المجتمع.

الكلمات المفتاحية: سيميائية الأهواء، المعلقة، طرفة بن العبد، اللذة، الهوى.

ABSTRACT

This study addressed semiotics of passions in Tarafa ibn Al-Abd's Moallakat theoretically and practically. Theoretically ،it showed both old and new meanings of 'whim' ،citing the important studies that paid attention to the semiotics of whims until becoming a methodology of criticism in discourse analysis. Practically ،it studied the whim of enjoyment in Tarafa ibn Al-Abd's Moallakat following the methodology of whim semiotics to show the aspects of the enjoyment whim in the poem beginning with the cultural entry significance outside the poem and ending with the explicit and implicit aspects of the enjoyment whim inside the poem. Then ،the flow of the enjoyment whim was analysed by focusing on whim structuring which starts with composition and ends with moral evaluation. Accordingly ،the study revealed a number of conclusions; the most ones are:

- Both self-passion and its poetic ability guided text structure in both form and meaning، showing an effective orating mode imposed on audience. In turn، the enjoyment whim created a whim with audience embodied in the overall text structure.

-The enjoyment whim depicted an implicit cultural cohesion though which oneself could change it from negative into positivity ،accepted in .

semiotics of passions ،Moallakat ،Tarafa ibn Al-Abd

Key words: enjoyment. ،passion.

المقدمة:

تعد سيميائية الأهواء من أحدث الإجراءات النقدية الحديثة التي تعنى بالكشف عن الأهواء العاطفية في النصوص، ولما لهذا الإجراء النقدي من آلية منهجية منضبطة عمل على ترسيخها تنظيراً وتطبيقاً كل من (جريماس) و (فونتاني)، ومع ذلك فهناك قلة في تطبيقها على النصوص الشعرية في الدراسات الغربية، وأكثر من ذلك قلة في

الدراسات العربية المعمقة التي طبقت سيمياء الأهواء ، بخلاف الدراسات التي حملت عناوين سيميائية الأهواء والتناول أسلوبياً ، ومع ذلك غامرنا في السير في هذا المضمار محاولين تقديم دراسة تطبيقية وفقاً لهذا الإجراء؛ لعلها تشكل إضافة نقدية يستنير بها الباحثون في هذا المجال، وقد اتخذنا من معلقة طرفة بن العبد مادة لتطبيق هذا الإجراء عليها، لما للمعلقة من خصوصية في التعبير عن هوى حب الذات الشاعرة للذة ، بهدف تتبع تمظهرات هوى حب اللذة في المعلقة على وفق مستوى التمظهر المباشر، ومستوى التمظهر غير المباشر، وتتبع مراحل الهوى على وفق الخطاطة الاستهوائية.

. وقد اقتضى طبيعة الموضوع والمنهج أن يسير التناول على وفق الآتي:

ملخص البحث

المقدمة .

التمهيد: من الهوى إلى سيميائية الأهواء

المبحث الأول : التمظهرات المعجمية لدلالة اللذة.

المبحث الثاني : تجليات هوى حب اللذة في المعلقة المباشر وغير المباشر .

المبحث الثالث : الخطاطة الاستهوائية لهوى حب اللذة في المعلقة .

التمهيد: من الهوى إلى سيميائية الأهواء:

1- الهوى : (passion) .

مصلح الهوى من المصطلحات التي تعددت مفاهيمها؛ نظراً لتعدد المنطلقات الفكرية، واستعماله في مجالات متعددة، وتخصصات متنوعه، سواء في الثقافة العربية أم الغربية [1].

فالهوى في الثقافة العربية لغة : ((هوى الضمير (النفس) تقول: هَوَى يهوَى ورجل هُو ذو هَوى مخامر))[2]، والهوى محبة الإنسان الشيء وغَلَبَتُه على قلبه ، وهوى النفس إرادتها، والجمع أهواء[3]، وقد ورد لفظ الهوى في القرآن الكريم بصيغة المفرد، وبصيغة الجمع، في أكثر من آية من ذلك قوله تعالى: ((فَلاَ تَتَّبِعُواْ الْهَوَى أَن تَعْدِلُواْ وَإِن تَلْوُواْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ اللّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً)) [النساء: 135]، وقوله تعالى: ((وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ

الْمَأْوَى))[النازعات: 40/ 41]، وقوله تعالى: ((قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ نَصِيرٍ)) [البقرة: 120]، وقوله تعالى: ((أَفَمَن كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ كَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءهُمْ)) [محمد: 14]. وغيرها من الآيات، ودلالة الهوى في القرآن الكريم تدل على ما تميل إليه النفس وتشتهيه، الدافع إلى هذه الأهواء ميول دنيوية، تشمل الشهوات والكبر ؛ لذا ذم القرآن الأهواء المضلة وحذر من اتباعها[4] .

أما الهوى اصطلاحاً : ((ميل النفس إلى ما تستلذه الشهوات من غير داعية الشرع))[5]، هذا مدلوله الهوى بشكل عام ، إلا أن هناك من يفرق بين الأهواء ، فهناك ((الهوى العالي، كحب العلم، والهوى الدنيء كالبخل، والهوى المتوسط كالعشق))[6]. وتعد الأهواء محط اهتمام الفقهاء الذين ذموها، بعدها مفسدة للعقل ومقوضة للإيمان، واهتم بها الفلاسفة وقرنوها بالعذاب والضعف والذنب وعملوا على تعريفها وعددوها ورتبوها منطقياً، وعلماء الأخلاق الذين حددوا المعايير القيمية المتحكمة فيها[7].

أما الهوى في الثقافة الغربية فهو في الفرنسية والإنجليزية (passion)، وفي اللاتينية (passio)[8] ، وقد عرفه بتعاريف متعددة ، فالمعاصرون من علماء النفس أطلقوا على الأهواء الانفعالية تعاريف متعددة[9]، من أهمها: ((الهوى هو تنظيم الحياة العاطفية الخاضعة إلى نزعة مسيطرة)) [10].

وقد ارتبطت الأهواء في الثقافة الغربية بالأخلاق والحالات العقلية التي تنتمي إلى عالم الفلسفة الكلاسيكية والسيكولوجيا وعلم الاجتماع[11]، كان للحقل الفلسفي النصيب الأكبر من حيث الانشغال بدراسة الأهواء قروناً عديدة بدءاً بـ(أفلاطون platon)، وانتهاءً بـ(هيغل Hejel) مروراً بـ(فيفيس Vives) و (ديكارت Descartes)، و (كانط Kant) وغيرهم، حيث بينَ أفلاطون في أسطورة الكهف أن العقل محتاج إلى الهوى لإثبات ذاته[12]، ((ولما كان لفظ(passion) يطلق على إحدى مقولات (أرسطو)، هي مقولة الانفعال، رأى (ديكارت) أن يطلقه على كل ما يعتري النفس من انفعال كالإعجاب والحب والبغضاء والرغبة والسرور والحزن))[13] ، وتقترب دراسة (دكارت) للأهواء من السيميائية خصوصاً في كتابه (أهواء النفس)، حيث عدد الأهواء، ووصفها، وبين أسبابها، واستند في دراسته إلى الأحكام الأخلاقية عند تعريفه للأهواء، اعترى دراسته التناقضات، واعتباطية التسمية عند تسمية بعض الأهواء[14].

وهكذا اجمعت الدراسات الفلسفية الغربية والأخلاقية على شجب الهوى؛ لأنه يولد العماء الذي يهدد ما هو جوهري في

الكون، ويستقطب ما هو سلبي وعاطفي، بخلاف المنطق الذي يستجمع ما هو إيجابي وعقلاني[15].

وبعد أن شاعت الدراسات السيميائية التي استمدت أصولها ومبادئها من مجموعة من الحقول المعرفية كاللسانيات والفلسفة والمنطق والتحليل النفسي، وانبثقت من السيميائية اتجاهات متعددة، حتى ظهر مؤخراً ما يعرف بـ(سيميائية الأهواء) وهذا الاتجاه الأكثر حداثة في مجال السيميائيات[16]، وقبل ظهور هذا الاتجاه شهد الاهتمام بالأهواء في مرحلة مبكرة حيث سبق لـ(جريماس) أن عالج هوى الغضب بطريقة مركبيّة بعيداً عن التحليل الصنافي الذي يضطلع به الفلاسفة، واستخلص من هذا التحليل مساراً مكوناً من ثلاثة مراحل: الحرمان والسخط والعدوانية، لكنه لم يخضع دراسته إلى معايير محددة، أو إلى نظام عام يسير عليه في التحليل إلا فيما بعد في العقود الأخيرة[17]؛ لذا لم تكتسب دراسته لهوى الغضب أهمية إلا بعد ظهور سيميائية الأهواء التي تكشف عن التوترات التركيبية[18].

2- سيميائية الأهواء (semiotique des passions):

تعد سيميائية الأهواء امتدادا لسيميائية الفعل، بعد أن ((انشغل السيميائيون مدة طويلة بمعنى العمل أو حالة الأشياء، وخلال العقود الأخيرة أصبحوا يولون أهمية لمعنى الهوى أو الحالة النفسية[19]))، وبهذا أصبحت سيميائية الأهواء مكملة لسيمياء العمل، من حيث سد ثغراتها وملء البياضات التي تعتور بناءها النظري[20] ،كما شقت سيميائية الأهواء طريقها مخالفة الدراسات الفلسفية والأخلاقية، ومبتعدة عن منظور تعميمي قوامه التصنيف والتقييم، وعمدت إلى تقصي الآثار المعنوية للأهواء في الخطاب وبحثت في البعد الأنفعالي بعده أحد أبعاد الخطاب[21] ، وحرصت سيميائية الأهواء على الابتعاد عن التقاليد الانطباعية لعلم النفس التي هيمنت على دراسة الأدب[22] ، وبعد ذلك أصبحت سيمائية الأهواء منهجاً نقدياً من المناهج السيميائية المستحدثة؛ يعنى بدراسة حالات النفس[23]، وقد بدأ الاهتمام بسيميائية الأهواء تنظيراً وتطبيقياً في الغرب بدراسات، أبرزها دراسات الناقد(هرمان باريت Herman Parret)، الذي بدأ اهتمامه بسميأة الأهواء في دراسات متفرقة، ثم جمع شتات أفكاره حول ذلك وبلورها في كتابه الموسوم بـ(الأهواء محاولة في تخطيب الذات) عام – 1979م، الذي قدم فيه تصوراً جديداً تمثل بإعادة تحديد البنية العميقة وإدماجها في فضاء ذاتي وهو ما يضفي على الخطاب بعداً تداولياً، وحدد ثلاث زوايا معمارية لسيميائية الأهواء، أولها يتعلق بمورفولوجية الأهواء، وثانيها بمُركبها، وثالثها بتخطيبها[24]، ثم توالت الدراسات الغربية فكان من أهمها ما حققه الناقدان (وجوليان غريماس J. Greimas)، و (جاك فونتاني J. Fontanille) في مؤلفهما المشترك الموسوم بـ(سيميائية الأهواء من حالات الأشياء إلى حالات

النفس) عام 1991م، يتضمن الكتاب قسماً نظرياً وآخر تطبيقياً، ففي القسم الأول سعى المؤلفان إلى إبراز أهمية الهوى في الخطاب عبر الشروط القبلية قبل معرفة الدلالة في الخطاب ثم التعرف على الدلالة داخل الخطاب؛ لأن سيميائية الأهواء تعمل على الكشف عن الشروط والشروط المسبقة لتجلي المعنى وعن الكينونة بطريقة ما[25]، ونبها على الأسس المتحكمة في تحليل الأهواء من منظور سيميائي، والتأكيد على استقلالية هذا البعد الذي يهم إثارة الانفعال، وبينا إهمال سيميائية العمل للبعد المتمثل في الانفعالات والأهواء والعواطف[26].

وفي مجال التطبيق تناولا هويين دالين هما: هوى البخل، وهوى الغيرة، المستوى الفردي الذاتي وعلى المستوى الجماعي من حيث التمظهرات المعجمية، لمعرفة دلالة الأهواء بعيداً عن التعميم[27]، وغيرها من الدراسات الغربية التي اهتمت بسيميائية الأهواء، بعد ذلك تأثر الدارسون العرب بما كتب عن سيميائية الأهواء في الثقافة الغربية الحديثة، أول من تلقى هذه الثقافة الباحثون المغاربة؛ يتصدرهم محمد الداهي الذي ترجم وكتب عن سيميائية الأهواء [28].

وأخيراً فإن البحث عن الأهواء وتحليلها في الخطاب ليس من السهولة بمكان؛ لأنه لا يمكن تناوله بطريقة آلية أو بتعليقات هامشية، تشير إلى الحالة النفسية أو الوجدانية؛ فالأمر يتجاوز ذلك إلى مقاربة أكثر عمقاً تجسد أبعاداً قارة في أعماق النص[29]، ويتم في الغالب تحليل الأهواء في النص ((تحت ضغط هوى معين يتغير بتغير علاقة الذات الباحثة بالموضوع أو الذات السيميائية التي يتعامل معها، أو حتى القيم والمعارف وأشكال التواصل، وعلى هذا يجب التفريق بين الخطاب الذي تحركه الأهواء أو تسكنه، والخطاب الذي يتناول بالتحليل مظاهر الأهواء، الأول خطاب متوتر أنفعالي، والثاني خطاب أقرب إلى الموضوعية في تعامله مع الكلمات والعلاقات بوصفها حامل الدلالات أو مثيرات))[30].

وقد اتخذت من معلقة طرفة بن العبد مادة لتطبيق سيميائية الأهواء عليها؛ لأنها من النصوص الكبرى (المعلقات) التي عرفت بإحكام بنائها ولاحتكامها لتجربة هووية كانت ألمحها من حين إلى آخر في أثناء تدريسي، وكشفت طول معاشرتي للقصيدة عن بروز هوى حب اللذة الذي يتم تحليله وفقاً للخطوات الآتية.

المبحث الأول : التمظهرات المعجمية لدلالة اللذة .

أول مرتكزات منهج سيميائية الأهواء البحث حول التظمهرات المعجمية الهووية عند عملية تحليل الأهواء؛ للتعرف على استعمال الهوى في ثقافة المجتمع قبل معرفة الهوى في النص، للوصول إلى معاينة الهوى في النص ، ولمعرفة مدى

خصوصيته في تكثيف الخطاب وتفصيله، لتجاوز القصور الناجم من التقييم التعميمي والافتراضي،[31]في بعض المناهج، وهو ما يحتم علينا في بداية تحليلنا رصد التعدد الدلالي لكلمة اللذة في المعاجم.

اللذَّةُ: نقيضُ الألمِ، واحدةُ اللذَّاتِ، ولَذَّهُ ولذَّ بهِ يلَذُّ لذّاً، والتَذَّهُ والتَذَّ بهِ، واستَلَذَّهُ: عدهُ لَذِيذاً، واللذَّةُ واللَّذاذةُ واللَّذِيذُ كله الأكلُ والشربُ بنعمةٍ وكفاية، واللذُّ واللذيذ يجريان مجرى واحداً في النعت، وقوله عز وجل ((وأنهارٌ من خمرٍ لذَّةٍ للشاربين))[محمد: 15] أي لذِيذَةٍ، وقيل لَذَّةٍ أي ذاتِ لذّةٍ، وشرابٌ لذٌ من أشربةٍ لُذٍ، وكأسٌ لَذَّةٌ: لَذِيذةٌ، وفي التنزيل: ((بيضاءَ لَذَّةٍ للشاربين)) [الصافات: 46]. [32]، (واللذيذ: الخَمْرُ)[33].

وهذه الدلالات المعجمية تحيلنا إلى أن معنى اللذة متعدد الدلالة:

المعنى الأول: اللذة نقيض الألم؛ ويعني هذا أن اللذة عامة لكل ما فيه سعادة وخير للإنسان في حياته، بعيداً عن المنغصات والآلام، وهذا يحيلنا إلى أمر مرغوب فيه.

المعنى الثاني: اللذة تدل على مطلق الأكل والشرب بنعمة وكفاية. وهذا المعنى جزء من المعنى الأول.، يحيل إلى تعلق الإنسان بذلك والسعي إليه بكل قوة.

المعنى الثالث: اللذة الخمرة. وهذا المعنى الدلالي يحيل إلى أمر مرغوب فيه على مستوى الفرد ومرغوب عنه على مستوى الجماعة.

وهذا التعدد في المعنى يحيلنا إلى اختزال تمظهرات اللذة في نسق مصغر يكمن في عرض الألفاظ المرادفة للذة والألفاظ المتضادة وذلك على النحو الآتي:

- **الألفاظ المترادفة:**

1- الراحة: وهي رغبة مطلوبة في الحياة تتمثل في الأكل والشرب، وترتبط بالراحة صفات قريبة منها هي: السعادة النعيم. التمتع بكل ما تهواه النفس في الحياة بشكل متزن، وهذا يشكل هوى حقيقاً يختفي في الحكم الأخلاقي: ففي معناه يظهر التوسط بين الحرمان والبخل.

2- الإسراف: وهذا يحيل إلى الكرم المبالغ فيه للترويح على النفس، ونظرة المجتمع إلى ذلك نظرة سلبيه ممقوتة؛ لأنها تؤدي بصاحبها إلى الإفلاس والفقر والضياع.

3- الشعور بالارتياح: وهذا تمتع لا يحجم عنه غليظ الطبع

4- الرغبة: وهي انعكاس لمطالب الهوى، أو إشباع للنزعات الإنسانية، وهذه قد يتقبلها البعض والبعض الآخر يكبح جماح هذه الرغبة.

5- المتعة: وهي التلذذ والاستمتاع بملذات الحياة، والكل يرغب فيها؛ لكن لا يبحثها عنها إلا الكرماء ويحجم عنها البخلاء.

❖ **الألفاظ المتضادة:**

1- الألم والمعاناة: والألم ممقوت يسعى الإنسان دائماً إلى دفعهما عنه.

2- البخل: هو الشح والتقتير وجمع المال وهو هوى ممقوت بخلاف هوى الكرم المحبب إلى النفس.

3- الامتناع: قد يكون منع النفس عن شيء مرغوب فيه أو مرغوب عنه.

4- الحرمان: فحرمان الذات من الملذات يعد تقتيراً على النفس، وهو ما يجعل الذات المحرومة تسلك سلوك المعاناة والبؤس والبخيل، وهو سلوك سلبي في ثقافة المجتمع.

5- الادخار: فعدم الاستمتاع باللذة بشكل مفرط ناجم من القدرة على جمع المال وادخاره وهو ما يشكل هوى إيجابياً يتمثل بالتوسط بين التبذير والبخل، وهو السلوك الغالب في المجتمع.

وبعد تحليل الدلالة المعجمية للذة، تتجلى تمظهراتها الكبرى والصغرى و هو ما يدل على أن من اللذة ما هو مطلوب ومتقبل بين أفراد المجتمع، ومنها ما هو مذموم وغير متقبل عند البعض من أبناء المجتمع خصوصاً لذة الخمرة التي يوصف صاحبها بالمسرف المبذر السائر في طريق الغواية والعبث.

المبحث الثاني : تجليات هوى حب اللذة في المعلقة المباشر وغير المباشر:

ليس المهم في دراسة الأهواء التعرف على أعراضها، وإنما تبيين آثارها كما تتجلى في الخطاب، فدلالة الهوى في الخطاب تتشكل من اللحظة التي تستوفي فيها عملية الإدراك، فيحمل الاستهواء الذات على بذل مقادير تتجسد في مجموعة من الآثار المعنوية التي تظهر غالباً في الخطاب من خلال مقاطع، فيتشكل الهوى في خطاب يتقاطع مع الواقع والمنطق الصوري حيناً وينأى عنهما أحياناً، عبر الخصائص التركيبية، وهو ما يظهر الوجه المجازي الذي يكون عليه بفعل الأهواء، ويختفي في الخطاب الوجه الحرفي الاجتماعي التداولي المألوف؛ لذا فسيميائية الأهواء تعنى بتمظهر

الأهواء في الخطاب بأنماط عديدة فيكون على سبيل المثال سرداً تفصيلياً لأحوال الذات وسلوكها، وتفسيراً تبريرياً مطولاً لنظرتها إلى العالم والأشياء، وحججاً تدافع بها الذات عنها وتدفع خصومها، وجميعها تتجلى في أشكال متنوعة في النصوص، إضافة إلى ذلك تعنى سيميائية الأهواء بالكشف عن تسلسل الأهواء المضمرة التي لا تظهر في البنية السطحية[34]' وهذا ما سنسير عليه في تحليلنا لهوى حب اللذة في المعلقة، عبر رصد تمظهرات اللذة بشكل مباشر على المستوى السطحي، وتمظهراتها بشكل مضمر غير مباشر على المستوى العميق، عبر ضبط التسلل المنطقي الجهي[35] المضمر للثلاثة الفئات من الأهواء التي حددها (هرمان باريت): الفئة الأولى الأهواء المتقاطعة،، يأتي هوى الفضول في مقدمة الأهواء المصنفة داخل هذه الفئة، وبعد تحليل مكوناته وبنياته يتضح أن جهته هي الرغبة والمعرفة، وموضوعه البحث عن الحقيقة، وزمنيته تستشرف آفاق المستقبل، وتتعلق الفئة الثانية بالأهواء الانتعاظية[36]، وهي تقوم على جهتي الواجب والقدرة، أبرز هوى في هذه الفئة هوى الاهتمام، يوجد داخل هذه الفئة أهواء أخرى متعلقة زمنيتها في المستقبل كهوى (الكراهية، والحب)، وأخرى مجردة من البعد المستقبلي (اللامبالاة والاحتقار والصداقة)، ويظل هوى المودة مشدوداً إلى الماضي، وتشمل الفئة الثالثة الأهواء الحماسية، وترتكز على جهة الرغبة [37].

1-تجليات هوى حب اللذة المباشر في المعلقة:

تتكون معلقة طرفة بن العبد من مجموعة من المقاطع، تعددت فيها اللوحات، بدءاً بالطلل، ثم وصف الظعائن، ثم التغزل بمحبوبته (خولة)، ثم الانتقال إلى وصف الناقة، ثم افتخار الشاعر بصفاته الحميدة (الشجاعة، والكرم، والإقدام، والتجلد)، وفي هذه المقاطع المتعددة لم نجد فيها تصريحاً مباشراً بهوى حب اللذة (هوى شرب الخمرة)، وإنما جاء التصريح بهوى حب اللذة بعد هذه المقاطع بشكل مباشر، وهذا يدل على أن الشاعر لم يصرح بهوى حب اللذة في بداية المعلقة أو المقاطع التي تلت المطلع، كل هذه المقاطع تشكلت في خمسين بيتاً، وبعدها بدأ الشاعر يصرح بهوى الذات للذة بشكل مباشر عبر تدرج أكسب النص شعرية خاصة، وذلك على النحو الآتي:

1- أول الأبيات الدالة على هوى حب اللذة تمثلت عبر مزج الشاعر هوى حب اللذة بهوى الكرم، وهذا في قوله:

وإنْ تَبغِني في حَلقَةِ القَومِ تَلقَني وَإن تقتنِصْني في الحَوانيتِ تَصطَدِ[38]

مَتى تَأتِني أُصبِحكَ كَأساً رَويَّةً وَإن كُنتَ عَنها ذا غِنىً فَاغنَ وَازدَدِ

وفي هذا تصريح بهوى الحب الذي تتمتع به الذات، فهي ذات محبة للكرم والجود، وفي هذا إيحاء بحب الذات

للآخر الذي يهوى اللذة، ويسلك سلوك الذات.

2- الانتقال إلى الافتخار بانتماء الذات إلى أعلى مراتب الشرف والسؤدد والمنزلة، لتنتقل بموجب ذلك الفخر إلى التصريح بالجلوس في أماكن اللذة ومجالسة المنادمين في تلك المجالس؛ من أحرار وكرام، ووصف مغنيتهم بأحسن الصفات وهذا في قوله:

وَإِن يَلتَقِ الحَيُّ الجَميعُ تُلاقِني إِلى ذِروَةِ البَيتِ الرَفيعِ المُصَمَّدِ[39]

نَدامايَ بيضٌ كَالنُجومِ وَقَينَةٌ تَروحُ عَلَينا بَينَ بُردٍ وَمَجسَدِ

رَحيبٌ قِطابُ الجَيبِ مِنها رَقيقَةٌ بِجَسِّ النَدامى بَضَّةُ المُتَجَرَّدِ

إِذا نَحنُ قُلنا: أَسْمِعينا انبَرَت لَنا عَلى رِسلِها مَطروقَةً لَم تَشَدَّدِ

يتجلى في هذه الأبيات تمظهر الذات عبر هوى اللذة، فهي ذات تتمتع بملذات الحياة من شرب وسماع، ليس بمفردها بل مع عِليةِ القوم وأشرافهم بدلالة: (إلى ذروة البيت الكريم المصمد، ونَدامايَ بيضٌ كَالنُجومِ)، وفي هذا كله دلالة على الأنس والراحة والتنعم بملذات الحياة، وهو ما يكشف عن هوى التردد عند الذات؛ فهي ذات تتردد على الأماكن الرفيعة والأماكن الوضيعة، وهو ما يوحي بإيجابية سلوك الذات التي تتردد على مجلسين؛ لأن التردد على مكان اللذة دون غيره سلوك مشين عند البعض.

3- انتقال الشاعر بعد ذلك إلى التصريح المباشر بهوى الذات للذة في الماضي وحرمانها من مواصلة سلوكها لهذا الهوى في المستقبل، وهو ما يجسد ارتفاع فاعلية التوتر، وهذا في قول الشاعر:

وَما زالَ تَشرابي الخُمورَ وَلَذَّتي وَبَيعي وَإِنفاقي طَريفي وَمُتلَدي[40]

إِلى أَن تَحامَتني العَشيرَةُ كُلُّها وَأُفرِدتُ إِفرادَ البَعيرِ المُعَبَّدِ

رَأَيتُ بَني غَبراءَ لا يُنكِرونَني وَلا أَهلُ هَذاكَ الطِرافِ المُمَدَّدِ

فهوى حب اللذة في هذا المقطع يتمظهر بشكل مباشر، فهو هوى مبالغ فيه يصل إلى درجة الإسراف والتبذير قد سيطر على الذات مع التصريح بتمظهرات الآخر المعارض الرامي إلى منع الذات وحرمانها من الملذات، وهو ما يكشف لنا عن أهواء مضمرة انتعاظية تتمثل بأهواء الآخر المضاد للذات، الذي يتمتع بهوى الكراهية والازدراء والحقد، وهي أهواء

ترتكز على القدرة، وأهواء الذات المتمثلة بهوى الكراهية للآخر المضاد، وهوى الحب للآخر من الفقراء والأغنياء، وهذا يتجلى في المربع الاستهوائي الآتي:

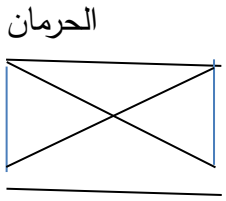

المربع الاستهوائي يكشف عن تمظهرات استهوائية في المعلقة تنحصر في جدلية متقاطعة بين هوى اللذة، وهوى الحرمان، ومن ثم هناك تقاطع شعوري، وتوتر انفعالي بين متضادين عالم الكريم (المحب للذة المستمتع بملذاتها)، وعالم البخيل المحرم لذاته والمانع للآخر من التمتع بملذات الحياة، وهو ما يولد دلالة الانتصار لعالم الكريم المحب لملذات الحياة، وهو ما يولد الراحة والكرم والحب. كما يحيل هوى الحرمان إلى مجموعة من المشاعر الانفعالية السلبية كالبخل والبؤس والشقاء والكره.

4- التصريح بهوى حب اللذة ومواصلة ميول الذات لهذا الهوى في المستقبل، مستندة في ذلك على المحاججة المقرونة بثنائية الحياة والموت، وهو ما يكشف عن هوى الذات للذة جهته هي الرغبة والمعرفة؛ أي الرغبة لمعرفة الحقيقة في المستقبل، وهذا يظهر أن الذات متمسكة بهوى حب اللذة لا يمنعها عنه سوى الخلود في الحياة، وهذا في قول الشاعر:

أَلا أَيُّهَذا الزاجري أَحضُرُ الوَغى وَأَن أَشهَدَ اللَذّاتِ هَل أَنتَ مُخلِدي[41]

فَإِن كُنتَ لا تَستطيعُ دَفعَ مَنيَّتي فَدَعني أُبادِرها بِما مَلَكَت يَدي

وفي هذا إيحاء بعدم مقدرة اللذات التخلي عن هواها للشجاعة وعن هواها للذة؛ لأن الموت هو الذي يدفع الذات إلى التمسك بهذين الهووين، وليس الدافع إليهما من باب الغواية والعبث.

5- التصريح بهوى حب اللذة عبر معرفة الذات بحقيقة الحياة في المستقبل، وجهة هذا الهوى القدرة على مواجهة المعاناة في الحياة عبر ثلاثة أهواء مهمة في ملازمة للذات، ولا تتخلى عنها، أولها هوى اللذة، وثانيها هوى الشجاعة، وثالثها هوى الحب والتمتع بالمحبوبة، وهذا في قول الشاعر:

وَلَولا ثَلاثٌ هُنَّ مِن عيشَةِ الفَتى وَجَدِّكَ لَم أَحفِل مَتى قامَ عُوَّدي[42]

فَمِنهُنَّ سَبقي العاذِلاتِ بِشَربَةٍ كُمَيتٍ مَتى ما تُعلَ بِالماءِ تُزبِدِ

وَكَرّي إِذا نادى المُضافُ مُحَنَّباً كَسيدِ الغَضا نَبَّهتَهُ المُتَوَرِّدِ

وَتَقصيرُ يَومَ الدَجنِ وَالدَجنُ مُعجِبٌ بِبَهكَنَةٍ تَحتَ الطِرافِ المُعَمَّدِ

6- التأكيد على مواصلة الذات لميولها العاطفية نحو اللذة في مستقبل حياتها حتى الممات، وهنا يصل التصريح بهوى حب اللذة إلى الذروة بعد تمهيد وحسن تدرج للوصل إليه، وهذا في قول الشاعر:

فذرني أُروي هَامَتي في حَياتِها مخافةَ شُربٍ في الحياةِ مُصَرِدِ[43]

كَريمٌ يُرَوّي نَفسَهُ في حَياتِهِ سَتَعلَمُ إِن مُتنا غَداً أَيُّنا الصَدي

أَرى قَبرَ نَحّامٍ بَخيلٍ بِمالِهِ كَقَبرِ غَويٍّ في البَطالَةِ مُفسِدِ

تَرى جُثوَتَينِ مِن تُرابٍ عَلَيهِما صَفائِحُ صُمٌّ مِن صَفيحٍ مُنَضَّدِ

تَرى جُثوَتَينِ مِن تُرابٍ عَلَيهِما صَفائِحُ صُمٌّ مِن صَفيحٍ مُنَضَّدِ

والشاعر في هذه الأبيات التي تجسد اندفاعه إلى هوى حب اللذة ذلك الهوى الذي يقرنه بهوى مضاد يتمثل بهوى الكره للموت، ذلك الهوى الذي يكرهه الجميع بخلاف التباين الحاصل من نظرة المجتمع إلى هوى اللذة، وهذا الهوى يتجلى في المرتسم الآتي:

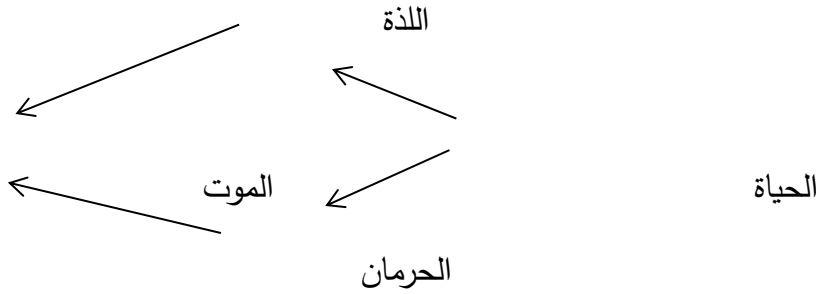

وبهذا يضع الشاعر الإنسان في الحياة أمام طريقين: حياة فيها لذة ومتعة، وحياة فيها الحرمان والبؤس والشقاء، وهاتان الطرقيتان ستوصلان الإنسان في النهاية إلى الموت، وهو ما يعجل هوى حب اللذة أمام الموت ردة فعل محببة في نظر الذات المستهوية، و الحرمان من الملذات أمام الموت استسلام يصاحبه معاناة.

وهذا التمظهر لهوى حب اللذة بشكل مباشر بطريقة متسلسلة يقود إلى معرفة تمظهرات الهوى في مستواها العميق غير المباشر.

2-تجليات هوى حب اللذة في المعلقة غير المباشر:

في الحقيقة يدفع التوتر الاستهوائي الذات الشاعرة إلى الاتصال بالذوات الأخرى أو الأشياء، ويمثل ذلك افتتاح الشاعر قصيدته بالطلل، وهذا في قول الشاعر:

لِخَولَةَ أَطلالٌ بِبُرقَةِ ثَهمَدِ تَلوحُ كَباقي الوَشمِ في ظاهِرِ اليَدِ(44)

وُقوفاً بِها صَحبي عَلَيَّ مَطيَّهُم يَقولونَ لا تَهلِك أَسىً وَتَجَلَّدِ

هذا المطلع الطللي لم يطل فيه الشاعر، حيث انعدم فيه مناداة الديار، وإنما ذكر تلك الديار بصيغة الغائب ذلك المكان البعيد عنه، فضلاً عن وصف ديار المحبوبة ببيت واحد، ثم استوقف أصحابه في البيت الثاني الذين حثوه على التصبر وعدم الحزن على ما أصابه، وهذا الإيجاز بخلاف بعض الأطلال الأخرى في المطولات الجاهلية، حيث كان الشاعر يقف على الطلل وينياديها ويستطرد في وصف ما حل بها من خراب ودمار وتغير، وهذا عائد إلى إيحائية كل طلل بمضمون النص الذي هو جزء منه.

وما دام أن المطلع في بداية النص يحمل معاني مشفرة ، فإن قصر المطلع الطللي في معلقة طرفة يمثل علامة سيميائية توحي بقصر الحياة التي سرعان ما تتحول إلى أطلال كأطلال خولة، لا تتولد منها غير التذكر و الحزن، وهذا يوحي بتمهيد الشاعر إلى تقبل سلوكه الاستهوائي المتمثل بهوى اللذة، ما دامت الحياة قصيرة والعمر محدودا، فعلام الحرمان من الملذات؟.

وبعد المطلع الطللي انتقل الشاعر إلى وصف مراكب النساء المحمولة على النوق و منها الناقة التي أقلت خولة أول النهار، ثم يشبه تلك النوق بأجود السفن المشهورة السائرة في البحر، وهذا في قوله:

كَأَنَّ حُدوجَ المالِكِيَّةِ غُدوَةً خَلايا سَفينٍ بِالنَواصِفِ مِن دَدِ(45)

عَدَوليَّةٌ أَو مِن سَفينِ اِبنِ يامِنٍ يَجورُ بِها المَلّاحُ طَوراً وَيَهتَدي

يَشُقُّ حَبابَ الماءِ حَيزومُها بِها كَما قَسَمَ التُربَ المُفايِلُ بِاليَدِ

و هذه الأبيات مرتبطة دلالياً بالمطلع الطللي يزيد من تعميق الدلالة، من حيث إن العيش في هذه الحياة قائم على

صراع الإنسان مع الزمان والمكان، فسرعان ما تنتهي هذه الحياة فلا تخلف إلا أطلالاً مولدة للحزن والأسى ولا تحدث إلا ارتحالاً من مكان إلى آخر يولد معاناة الحنين والشوق إلى الأهل والأحباب، وهذا يكشف عن تعاضد الدلالات فيما بينها؛ لتصوير واقع الحياة المرير الذي لا يخفف من تلك المعاناة حسب مقصدية الشاعر سوى المسارعة إلى الملذات في هذه الحياة.

ثم ينتقل الشاعر بعد تلك الأبيات إلى التغزل بمحبوبته (خولة)، من البيت السادس إلى البيت العاشر:

وَفي الحَيّ أَحوى يَنفُضُ المَردَ شادِنٌ مُظاهِرُ سِمطَي لُؤلُؤٍ وَزَبَرجَدِ[46]

خَذولٌ تُراعي رَبرَباً بِخَميلَةٍ تَناوَلُ أَطرافَ البَرِيرِ وَتَرتَدي

وَتَبسِمُ عَن أَلمى كَأَنَّ مُنَوَّراً تَخَلَّلَ حُرَّ الرَملِ دِعصٌ لَهُ نَدي

سَقَتهُ إِياةُ الشَمسِ إِلّا لِثاتِهِ أُسِفَّ وَلَم تَكدِم عَلَيهِ بِإِثمِدِ

وَوَجهٌ كَأَنَّ الشَمسَ حَلَّت رِدائَها عَلَيهِ نَقِيُّ اللَونِ لَم يَتَخَدَّدِ

وهذه الأبيات الغزلية تجسد هوى حب الذات وشوقها وحنينها إلى الآخر المحبوبة، وهذا يكشف عن سلسلة متواصلة من الإيحاءات المتتابعة التي توكد بمجملها معاناة الإنسان المتعددة التي تواجه في الحياة.

وبالعودة إلى مضمون الأبيات، نجد أن الشاعر قد استهوى شيئا تمثل في إعجاب الشاعر بالناقة أو النوق التي رحلت المحبوبة وأهلها على ظهرها، وفي هذا تظهر لنا خيوط من الدلالات لا تنتهي تؤكد أن الحياة قائمة على المعاناة ولا يخفف من تلك المعاناة غير النوق التي تحملنا من مكان إلى آخر وبدون ذلك سيضاعف من حجم المعاناة والتعب.

بعد هذه المقاطع انتقل الشاعر إلى وصف ناقته بأوصاف تفصيلية لكل أجزائها وأحوالها، شكلت تلك الأوصاف صورة في منتهى الدقة والإبداع، تشكلت صورة هذا الوصف في تسعة وعشرين بيتاً، من البيت الحادي عشر إلى البيت التاسع والعشرين:

وَإِنّي لَأَمضي الهَمَّ عِندَ اِحتِضارِهِ بِعَوجاءَ مِرقالٍ تَروحُ وَتَغتَدي[47]

إلى قول الشاعر:

عَلى مِثلِها أَمضي إِذا قالَ صاحِبي أَلا لَيتَني أَفديكَ مِنها وَأَفتَدي[48]

وربط وصف الشاعر لناقته مع وصف ناقة المحبوبة التي ارتحلت عليها، يتجلى تمظهر هوى إعجاب الذات الشاعرة، هذا الهوى يكشف لنا عن حب الذات واستمتاعها لكل ما هو جميل في الحياة، وهو ما ينتج عملية انسجام وتوافق لهوى الذات المنسجم مع أهواء المجتمع كالإعجاب والحب والاستمتاع بما هو جميل في هذه الحياة، فالشاعر يكاد يهلك في الصحراء في أثناء رحلته الطويلة، لولا ناقته التي هو معجب بها خففت عنه معاناة السفر، بهذا يتحقق إيحاء يدل على ضرورة اتخاذ الناقة القوية في السفر والترحال؛ للتخفيف من المشقة والتعب، وهذا يحقق تمظهراً مضمراً لهوى الذات الشاعرة يكمن في جعل الناقة معادلاً موضوعياً لهوى اللذة، فتلك الخمرة التي تتعدد صفاتها كتعدد صفات الناقة، عبرها تحقق اللذة المرجوة في الحياة، وبدون تلك اللذة في الحياة تتضاعف المعاناة والشقاء والبؤس، كمضاعفة معاناة الآخر في الترحال والأسفار من غير ناقة، أو المحروم من أي مركب آخر. والسير في الصحراء يعدل مسيرة الإنسان في هذه الحياة، وفي هذا تبرير لهوى الذات يكمن عبر واقع الحياة الذي لا يدفع المعاناة فيه غير المبادرة إلى اللذة، وهو ما دفع الذات إلى هذا الهوى المضمر؛ فكأن الذات تعي وتعرف كل شيء، ولا تبحث عن سلوك غير نافع في الحياة.

وبعد وصف الذات الشاعرة للناقة انتقلت إلى الافتخار بذاتها عبر سرد صفاتها الفريدة، وهذا في قول الشاعر:

إذا القَومُ قالوا مَن فَتىً خِلتُ أَنَّني عُنيتُ فَلَم أَكسَل وَلَم أَتَبَلَّدِ[49]

إلى أن يقول:

وَلَستُ بِحَلّالِ التِلاعِ مَخافَةً وَلَكِن مَتى يَسترَفِدِ القَومُ أَرفِدِ[50]

وإِن تَبغِني في حَلقَةِ القَومِ تَلقَني وَإِن تَقتَنِصني في الحَوانيتِ تَصطَدِ

مَتى تَأتِني أُصبِحكَ كَأساً رَويَّةً وَإِن كُنتَ عَنها ذا غِنىً فَاِغنَ وَازدَدِ

وَإِن يَلتَقِ الحَيُّ الجَميعُ تُلاقِني إِلى ذِروَةِ البَيتِ الرَفيعِ المُصَمَّدِ

وفي هذه الأبيات تتعاضد دلالتها مع دلالات الأبيات التي سبقت، حيث يتجلى إيحاؤها الدال على أن هذه الصفات الفريدة هي ناجمة من فعل اللذة، فاللذة لا تحقق حسب زعم الذات إلا الشجاعة والإقدام والكرم، ومن كانت هذه صفاته فهو ينتمي إلى أعلى مراتب الرفعة والشرف، وهو ما يمنع اللوم عن صاحب اللذة.

وهذا التبرير لهوى الذات جعلها تصرح بهواها بشكل مباشر كما بينا ذلك آنفاً. وهذا يجعلنا ننتقل إلى تتبع مراحل انتظام الهوى في خطاب المعلقة.

المبحث الثالث : الخطاطة الاستهوائية لهوى حب اللذة في المعلقة .

مراحل الهوى في أي ينص تمر عبر الخطاطة الاستهاوائية المقننة التي تتكون من مراحل تبين تدرج الهوى من المستوى العميق إلى المستوى السطحي[51]، عبر العناصر الآتية:

1- **الانكشاف الشعوري**، أو ما يسمى التكوين، ويقصد به ((شعور الذات لما تعبر عما ينتابها داخلياً من أهواء، وتمثل هذه المرحلة بروز الذات الاستهوائية في الخطاب إذ تصبح في حالة الشعور بهوى معين))[52] وعبر هذه المرحلة يتم التعرف على التوتر أو الانفعال الذي ينتاب الذات قبل ظهور الهوى ((فالأهواء قبل أن توجد لم تكن سوى احتمال انفعالي بدون هوية والذات (كائن ما) هو الذي يجسدها من خلال تحقق ما، لن يتحقق الغضب كذلك إلا من خلال ذات تغضب))[53].

وفي معلقة طرفة تتجلى فيها مرحلة التأسيس لهوى اللذة، ويكن تجليها عبر معاناة الشاعر وحرمانه من التكافل الأسري حتى بلغ به الحد أنِ اجتنبته عشرته،، ويتجلى هذا في قوله:

وَما زالَ تَشرابي الخُمورَ وَلَذَّتي وَبَيعي وَإِنفاقي طَريفي وَمُتلَدي[54]

إِلى أَن تَحامَتني العَشيرَةُ كُلُّها وَأُفرِدتُ إِفرادَ البَعيرِ المُعَبَّدِ

ونزعت الذات عبر إظهارها لهوى حب اللذة إلى إظهار ذاتها عبر تصوير ذاتها بصورة مستكرهة في المجتمع، وهي صورة تبرز مدى قهر الذات و حرامانها من هوى اللذة، وتقربها من الآخر الذي لا يلوم الذات أو يحرمها من هواها؛ وهذا يوحي بحرمان الذات من الحنان الأسري والانتماء العاطفي الذي لا يعوض عنه سوى اللذة.

ومما زاد في إثارة هوى الذات ظلم الأقارب وهذا في قول الشاعر:

وَظُلمُ ذَوي القُربى أَشَدُّ مَضاضَةً عَلى المَرءِ مِن وَقعِ الحُسامِ المُهَنَّدِ[55]

إضافة إلى تلك المعاناة تواجه الذات معاناة اللوم الصادر إليها من غير معرفتها للذنب الموجب للوم، وهذا في قول الشاعر:

يَلومُ وَما أَدري عَلامَ يَلومُني كَما لامَني في الحَيِّ قُرطُ بنُ أَعْبَدِ[56]

ويزيد خوف الذات المتكرر من الموت تراكم المعاناة، وهذا في قول الشاعر:

لَعَمرُكَ إنَّ المَوتَ ما أَخطَأَ الفَتى لَكَالطِوَلِ المُرخى وَثِنياهُ بِاليَدِ[57]

وقوله:

أرى الموتَ أعداد النفوس ولا أرَى بَعيداً غداً ما أقرَبَ اليومَ من غدِ[58]

وهذه المعاناة التي واجهتها الذات في الواقع وأحست بألمها قد شكلت عاملاً محفزاً لها ومكنها من الاستعداد ، والتأهب بما تمتلكه من مؤهلات للتعبير عن هواها.

2- **الاستعداد:** أو ما يعرف بكفاية الذات ويقصد به ((حصول الذات على المؤهلات الضرورية للتعبير عن هوى معين))[59].

وفي المعلقة ندرك أن الذات الشاعرة وبعد مرحلة التأسيس أو التكوين قد أصبحت مستعدة ومندفعة لإنتاج الهوى، وهذا يتجلى في النص من بدايته إلى نهايته الذي عبر عن مقدرة الذات المستعدة المتهيئة لصوغ هواها، تجلى هذا عبر بناء النص بناء محكماً، أظهر كفاية الذات واستعدادها قبل صوغها للنص لتصدير هواها للآخر بطريقة لها أثرها الفني، حيث جاء تعبير الذات عن هوى حب اللذة في قصيدة محكمة عبرت عنه بطريقة مباشرة وغير مباشرة، وهو ما ينم عن تدرج في التناول، فضلاً عن تجسيد صورة مكتملة لهوى حب اللذة تبرزه سطحاً وعمقاً بنية ومعنى وتركيباً.

كل ذلك التفنن والتنوع الفني يعبر عن هوى الذات الذي مر بمراحل متعددة بدءاً بمرحلة الانفعال والتوتر أو التكوين ثم بمرحلة الاستعداد، مروراً بالمراحل الآتية.

3- <u>المحور الاستهوائي:</u>

يعد المحور الاستهوائي مرحلة مهمة وأساسية لتحقيق الهوى، عبر ها تتعرف الذات على أسباب اضطرابها وتدرك القيم الانفعالية التي كانت موضوعاً لها في مرحلة التكوين والاستعداد[60].

و المحور الاستهوائي في المعلقة يكمن عبر دفاع الذات عن هواها أمام كل ما تعانيه في الحياة من حرمان من الملذات وخوف من الموت، وانصدام الذات بهذه المعاناة جعلها تعبر عن هواها في النص بعواطف مضطربة تعيها الذات وتدركها، ويتجلى ذلك في الآتي:

أ-استشعار الذات لأسباب حرمانها من اللذة، وهذا في قول الشاعر:

وَما زالَ تَشرابي الخُمورَ وَلَذَّتي وَبَيعي وَإنفاقي طَريفي وَمُتلَدي[61]

إلى أَن تَحامَتني العَشيرَةُ كُلُّها وَأُفرِدتُ إِفرادَ البَعيرِ المُعَبَّدِ

ب- تمسك الذات بهوى حب اللذة وهذا في قول الشاعر:

فذرني أُروي هَامَتي في حَياتِها مخافةَ شُربٍ في الحياةِ مُصَردِ[62]

كَريمٌ يُرَوّي نَفسَهُ في حَياتِهِ سَتَعلَمُ إِن مُتنا غَداً أَيُّنا الصَدي

ج- إظهار هوى حب اللذة الناجم من أهواء انتعاظية تمثلت عبر هوى (اللامبالاة) وهذا في قول الشاعر:

وَلَولا ثَلاثٌ هُنَّ مِن عيشَةِ الفَتى وَجَدّكَ لَم أَحفِل مَتى قامَ عُوَّدي[63]

فَمِنهُنَّ سَبقي العاذِلاتِ بِشَربَةٍ كُمَيتٍ مَتى ما تُعلَ بِالماءِ تُزبِدِ

ومن الأهواء الانتعاضية التي لازمت هوى حب اللذة هوى (الكراهية) للموت، وهذا قوله:

أَرى المَوتَ يَعتامُ الكِرامَ وَيَصطَفي عَقيلَةَ مالِ الفاحِشِ المُتَشَدِّدِ[64]

أَرى العَيشَ كَنزاً ناقِصاً كُلَّ لَيلَةٍ وَما تَنقُصِ الأَيّامُ وَالدَهرُ يَنفَدِ

لَعَمرُكَ إِنَّ المَوتَ ما أَخطَأَ الفَتى لَكَالطِوَلِ المُرخى وَثِنياهُ بِاليَدِ

وقوله:

أرى الموتَ أعداد النفوس ولا أرَى بَعيداً غداً ما أقرَبَ اليومَ من غدِ [65]

كل ذلك أظهر هوى الذات عبر عواطف مضطربة كان لها الأثر في تجلي الهوى في النص بعد مرحلة التكوين ومرحلة الاستعداد .

4- العاطفة:

في هذه المرحلة يتبين فيها دور فعل الجسد إزاء الإحساسات المحزنة والمبهجة[66]، وفي المعلقة يتجلى إحساس الذات بما هو محزن عبر تمظهر جسدها بمظهر صوري يجسد مدى إحساسها بالحزن جراء ما تعانيه من قهر وحرمان من اللذة، وهذا في قول الشاعر:

وَما زالَ تَشرابي الخُمورَ وَلَذَّتي وَبَيعي وَإِنفاقي طَريفي وَمُتلَدي[67]

إِلى أَن تَحامَتني العَشيرَةُ كُلُّها وَأُفرِدتُ إِفرادَ البَعيرِ المُعَبَّدِ

وصورة الجسد هذه المتمثلة عبر الصورة التشبيهية (وأفردت إفرادَ البَعيرِ المُعَبَّدِ)، لها أثرها في إثارة شفقة الآخر لتبرر سلوك الذات.

وفي المقابل ترسم الذات صوراً متعددة تبين ردود فعل الجسد للدفاع عن سلوكها، من ذلك صورة جسد الذات الذي يظهر عبر هذا التصوير يقظة الذات وذكائها وشجاعتها، وهذا في قول الشاعر:

أَنا الرَجُلُ الضَربُ الَّذي تَعرِفونَهُ خَشاشٌ كَرَأسِ الحَيَّةِ المُتَوَقِّدِ(68)

فَآلَيتُ لا يَنفَكُّ كَشحي بِطانَةً لِعَضبٍ رَقيقِ الشَفرَتَينِ مُهَنَّدِ

ومن خلال الأبيات التي مرت معنا يتبين عاطفة الذات المستهوية حيث رسمت لذاتها صوراً متعددة أمام الذات المضادة لها، وهذا يتجلى على النحو الآتي:

الذات المضادة	الذات المستهوية
– السعي إلى حرمان الآخر	– السعي إلى إعطاء الآخر
– البخل	– الكرم
– الحقد	– التسامح
– الحرمان	– التمتع بالملذات
– لوم الآخر والابتعاد عنه	– الحفاظ عن القريب والفاع عنه

وبهذا يتبين صورة الذات المضادة التي تسعى إلى تحقيق كل ما هو محزن في الحياة، بخلاف الذات المستهوية التي تسعى إلى كل ما هو مبهج في الحياة، وهذا يبرز تعاضد القوة العاطفية و القوة الصورية لتجسيد حضور ذاتية الذات المستهوية في الخطاب.

5– التقويم الأخلاقي:

تأتي هذه المرحلة– مرحلة التهذيب أو التقويم الأخلاقي – آخر مرحلة بعد ظهور الهوى في الخطاب، وفي هذه المرحلة ((تُقوَّم الأهواء من منظور جماعي لبيان موقعها داخل إطار سوسيو ثقافي (موقف ثقافة معينة من الحب)، أو

من منظور فردي لكون المُقوِّم نفسه يعد جزءاً من المشهد الاستهوائي))[69].

وبالعودة إلى هوى حب اللذة في المعلقة ندرك أن الشاعر استطاع أن يظهر هواه عبر لغة موحية تآزرت فيها دقة الأسلوب وجمال الصور وإيقاعية الأصوات، وقوة الحجج المنتظمة في النص، وإن تعارف بعض أبناء مجتمع الشاعر على سلبية هذا الهوى، فإن الشاعر استطاع في النص أن يتجاوز التقويم الأخلاقي السلبي للذة، إلى تقويم أخلاقي إيجابي، وهذا يتجلى في الآتي:

- بدأ الشاعر نصه بأسلوب متدرج في صوغ هذا الهوى، حيث بدأ بذكر الهوى (اللذة) من المستوى العميق، وهذا يتجلى في ما ذكرناه آنفاً من حيث تجلي الهوى في النص بطريقة غير مباشرة، وفي هذا قدرة على جذب المتلقي إلى متابعة النص وعدم الاصطدام معه حتى يصل به إلى المستوى السطحي المباشر لتجلي الهوى.

- قدرة الذات على صوغ خطابها عبر الصور التي ترمز إلى هوى اللذة، وهو ما يثبت مقدرة الذات على الصياغة الشاعرية التي تعبر عن تعويض الذات لما تحس به من نقص ومعاناة.

- استطاعت الذات أن تهذب النفس لتبرير هوها للذة، عبر إشارات تعويضية، أول هذه الإشارات: استدعاء الذات مجموعتين من أبناء المجتمع تؤيدان سلوك هوى الذات، وهذا في قول الشاعر:

رَأَيتُ بَني غَبراءَ لا يُنكِرونَني وَلا أَهلُ هَذاكَ الطِرافِ المُمَدَّدِ[70]

فالفقراء من أبناء المجتمع والأغنياء لا ينكرون سلوك الذات، وفي هذا قدرة إلى إقناع المتلقي بإيجابية هذا السلوك.

وثاني هذه الإشارات التعويضية استدعاء الذات مجموعة من الأهواء المحببة في نفوس أبناء المجتمع، بخلاف لو جاء هوى حب اللذة بمفرده في النص الذي قد لا يلقى قبولاً من المتلقي الجمعي، وهذه الأهواء تتمثل بهوى الكرم والشجاعة والإقدام، والتسامح، وفي هذا الاستدعاء تجسيد لإرادة الذات واكتسابها أهواء متعددة، وورود هذه الأهواء مع هوى حب اللذة يحقق لها القبول والإيجابية.

وثالث هذه الإشارات استدعاء الذات أهواء غير محببة في نفس الذات والمتلقي الجمعي، من تلك الأهواء هوى البخل، وهوى الحقد، وهوى الظلم، وفي هذا إيحاء إلى أن من ينظر إلى هوى حب اللذة بنظرة سلبية فإنه

سيسلك هوى البخل والكراهية والحقد والظلم، ومن يسلك هوى حب اللذة فإنه يتمتع بأهواء محببة إيجابية، وهو ما يجبر المتلقي على تقبل هوى اللذة.

ورابع هذه الإشارات التعويضية نزوع الذات إلى ما تعتقده من خلال تذكير الآخر الجمعي بالمآل الذي سيواجه المرء (الموت)، وهذا رافد يمنح هوى الذات نوعاً من القبول والإيجابية.

وخامس هذه الإشارات إكساب الذات هواها نوعاً من الإيجابية تكمن في تسلح الذات بهواها لمقاومة كل ما هو ضار ومحزن ومهلك في الحياة، أبرز ذلك مقاومتها بهوى حب اللذة للموت الذي هو مستكره في نفوس أبناء المجتمع.

وسادس هذه الإشارات اختتام الذات نصها بالحكمة:

أَرى المَوتَ يَعتامُ الكِرامَ وَيَصطَفي عَقيلَةَ مالِ الفاحِشِ المُتَشَدِّدِ[71]

أَرى العَيشَ كَنزاً ناقِصاً كُلَّ لَيلَةٍ وَما تَنقُصِ الأَيّامُ وَالدَهرُ يَنفَدِ

لَعَمرُكَ إِنَّ المَوتَ ما أَخطَأَ الفَتى لَكَالطِوَلِ المُرخى وَثِنياهُ بِاليَدِ

وقوله:

وَظُلمُ ذَوي القُربى أَشَدُّ مَضاضَةً عَلى المَرءِ مِن وَقعِ الحُسامِ المُهَنَّدِ[72]

وقوله:

سَتُبدي لَكَ الأَيّامُ ما كُنتَ جاهِلاً وَيَأتيكَ بِالأَخبارِ مَن لَم تُزَوِّدِ[73]

وَيَأتيكَ بِالأَخبارِ مَن لَم تَبِع لَهُ بَتاتاً وَلَم تَضرِب لَهُ وَقتَ مَوعِدِ

كل ذلك يوحي أن الذات واعية بميولها العاطفية إلى هوى اللذة، تمارسه عن خبرة في الحياة، وليس مجرد نزوة عبثية، وهو ما يقود المتلقي الجمعي إلى تقبل هوى حب اللذة بإيجابية، بخلاف التقبل السلبي لهوى حب اللذة خارج النص.

وبهذا فقد تجلى التهذيب الأخلاقي لهوى حب اللذة في النص على المستوى الفردي والمستوى الجمعي، وهو ما يكشف فاعلية التخطيب المعبرة عن عواطف الذات وانفعالاتها.

الخاتمة:

-قدرة التحليل السيميائي الذي يهتم بالعواطف والانفعالات على إظهار الدلالة للبعد العاطفي في الخطاب، وإنتاج معانٍ مشفرة، ليس بمقدور المناهج الأخرى الوصل إليها و الكشف عنها.

-حقق تعاضد عاطفة الذات مع مقدرتها الشعرية توجيه بناء النص على مستوى الشكل والمضمون، ومنح النص فاعلية التخطيب الذي يفرض أثره على المتلقي؛ فحقق هوى حب اللذة لذة للمتلقي تجسدت في بنية النص الكلية.

-اكتسب تمظهر هوى حب اللذة في النص مدلولاً خاصاً، يدل على لذة تحقق وجود الذات، وتثبت شجاعتها وكرمها، وتخفف من معاناتها في الحياة، الدافع إلى هذه اللذة اغتنام حياة الإنسان القصيرة التي يداهمها الموت، وليست هذه اللذة مجرد شرب وتلذذ بدافع العبث والغواية، كما هو معروف من دلالة اللذة في ثقافة المجتمع.

-أظهرت الخطاطة الاستهوائية بدءاً من الانكشاف الشعوري وانتهاء بالتقويم الأخلاقي علامات سيميائية دالة على تموج الهوى في النص وظهور أهواء أخرى، أظهرت رؤية الذات الشاعرة لعالمها الداخلي الذي تعاني فيه من الحرمان والقهر والظلم، والافتقار إلى الاستمتاع بالملذات، وعالمها الخارجي الذي يتوافق مع رؤية الذات أحياناً عبر أهوائها المتوافقة مع أهواء مجتمعها، وأحياناً تتصدم الذات بهذا العالم وتتقاطع معه، ويتجلى هذا عبر أهواء الذات الانتعاضية التي لا تهواها الذات، ورؤية الذات لعالمها الداخلي والخارجي يجسد حياة الذات الشاعرة القائمة على الصراع، لا يخلصها منه سوى اللذة.

-اكتسب النص تماسكه عبر سيطرة هوى حب اللذة في المعلقة من بدايتها إلى نهايتها، وتغلبه على بقية الأهواء التي ساعدت لتقبل هوى اللذة.

-حقق هوى حب اللذة إظهار شخصية الذات بشخصية متفردة للتعويض عن النقص الذي تعاني منه داخلياً، بدءاً بالتوتر العاطفي الذي ولد الاستهواء وزاد من ارتفاع فاعلية الهوى، مما قاد الذات إلى إظهار كفايتها، عبر خطاب له خصوصيته.

-كشف هوى حب اللذة عن نسق ثقافي مضمر استطاعت الذات عبر هذا النسق تحويل الهوى من هوى سلبي إلى هوى إيجابي متقبل بين أفراد المجتمع.

(1) ينظر : سيميائيات السرد إلى الأهواء ، حليمة وازيدي ، مطبعة القروبين ، الدار البيضاء ، المغرب ، ط1/ 2017م ، 21.

(2) معجم تهذيب اللغة ، لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري ، تحقيق : رياض زكي قاسم ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، ط1/ 2001م ، 3815/4.

(3) ينظر : لسان العرب لابن منظور، تحقيق : عبد الله علي الكبير , وآخرون , دار المعارف , القاهرة ،6/ 4023.

(4) ينظر : الهوى في القرآن الكريم ، ، ياسر عادل زينل البياتي ، مجلة كلية التربية الأساسية ، الجامعة المستنصرية ، العدد/61، 2010م ، 272.

(5) الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية ، لأبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفَوي ، تحقيق : د . عدنان درويش ، , ومحمد المصري ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان ، ط2/ 1998م ، 962.

(6) المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية واللاتينية ، د . جميل صَليبا ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، لبنان ، ط1/ 1982م ،529.

(7) ينظر: سيميائية الأهواء ، د. محمد الداهي، مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب الكويت، العدد/3، مج/35، يناير – مارس 2007م، 213.

(8) ينظر: معجم السميوطيقا، برونوين ماتن، فليز يتاس رينجهام، ترجمة: عابد خزندار، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط1/ 2008م، 170.

(9) ينظر : الأهواء ، جيروم انطوان روني ، ترجمة : د. سليم حداد ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر ، بيروت ، لبنان ، ط1/ 1987م ، 13.

(10) المصدر السابق، الصفحة نفسها.

(11) ينظر: معجم السميوطيقا ، ماتن برونوين ، رينجهام فليز يتاس ، ترجمة: عابد خزندار، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط1/ 2008م، 170.

(12) ينظر: سيميائية الأهواء ، د . محمد الداهي، 214.

(13) المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية واللاتينية ، 529.

(14) سيميائية الأهواء من حالات الأشياء إلى حالات النفس، غريماس و جاك فونتنيي، ترجمة: سعيد بن كراد، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط1/ 2010م، 150 - 160.

(15) ينظر :سيميائية الأهواء ، د . محمد الداهي، ، 214.

(16) ينظر: ، تلقي سيميائية الأهواء لجاك فونتاني وكريماص لدى محمد الداهي ، لمياء سعدون ، رسالة ماجستير، جامعة العربي بن مهدي – أم

البوقي – كلية الآداب واللغات، الجمهورية الجزائرية، 2015- 2016م، 15.

(17) سيميائية الكلام الروائي ، محمد الداهي ، 15.

(18) سيميائية الأهواء من حالات الأشياء إلى حالات النفس ، 46.

(19) سيميائية الأهواء ، د . محمد الداهي، 213.

(20) ينظر: ، سيميائيات مدرسة باريس: المكاسب والمشاريع مقاربة إبيستمولوجية، ، محمد بادي ، مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب الكويت، العدد/3، مج/35، يناير – مارس 2007م، 312.

(21)، راهن سيميائية الأهواء ورهاناتها في الدرس النقدي العربي ، زغودي دليلة ، مجلة قراءات ، جامعة محمد الخضر بسكرة ، كلية الآداب واللغات ، المجلد 12/ العدد1، 2019، 48.

(22) ينظر: نقد الحجاج وسيميائيات الأهواء، 164.

(23) ينظر: ، السيميائيات من العمل إلى الهوى – قراءة في كتاب سيميائية الأهوى لغريماس وفونتاني، بغداد عبد الرحمن ، مجلة بحوث سيميائية، العدد 14، مج/8، 27جوان 2019م، 39.

(24) ينظر: الداهي محمد ، سيميائية الكلام الروائي ، المدارس، زنقة جون بوان، الدار البيضاء، ط1/ 2005م. 15.

(25) ينظر: ، سيميائية الأهواء من حالات الأشياء إلى حالات النفس ، غريماس و فونتنيي جاك ، ترجمة: سعيد بن كراد، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط1/ 2010م، 55.

(26) ينظر: السيميائيات من العمل إلى الهوى – قراءة في كتاب سيميائية الأهوى لغريماس وفونتاني، 33.

(27) ينظر: سيميائية الأهواء من حالات الأشياء إلى حالات النفس، 159.

(28) ينظر: تلقي سيميائية الأهواء لجاك فونتاني وكريماص لدى محمد الداهي، 15

(29) ينظر: سيمياء العواطف قراءة في قصيدة (نام الخلي) للأسود بن يعفر، الدكتور ، ربابعة موسى ، مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب، مج/15، ع/ 1، 2018م، 328.

(30) ، هوى الخطاب سيميائية التمشهد وبلاغة الذات، مجلة فصول، حسين خمري ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مج/82، ع/81، 2012م، 524.

(31) ينظر: سيميائية الأهواء من حالات الأشياء إلى حالات النفس، 159، 160.

(32)ينظر: لسان العرب ، 5 / 4023.

(33) ينظر: القاموس المحيط، تأليف العلامة اللغوي مجد الدين يعقوب الفيروز آبادي، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط8/ 2005م، 337.

(34) ينظر: نقد الحجاج وسيميائيات الأهواء من خلال كتاب البخلاء للجاحظ، ، ماهر بوصباط ، الدار التونسية للكتاب، تونس، ط1/ 2015م، 172-174.

(35) الجهي أو الجهية هي: (الإرادة، والواجب، والقدرة، والمعرفة). ينظر: السيميائيات القاموس المعقلن في نظرية اللغة، تأليف: أ. ج. كريماس، ج. كورتيس، دراسة وترجمة: رشيد بن مالك، دار كنوز المعرفة، عمان، الأردن، ط1/ 2020م، 665.

(36) يقصد بالأهواء الانتعاظية: (انفعال الذات بحالة ذات أخرى وتعاطفها معها، والرغبة في إمداد العون لها). ينظر: ، سيميائية الأهواء، د. محمد الداهي، 243.

(37) ينظر: سيميائية الأهواء، د. محمد الداهي، ، 225- 226.

(38) ديوان طرفة بن العبد ، شرح الأعلم الشنتمري، تحقيق: درية الخطيب ولطفي الصقال، دار الثقافة والفنون، البحرين، ط2/2000م، 42. الحوانيت: بيوت الخمارين. روية: مملوءة.

(39) ديوان طرفة بن العبد ، 43. المصمد : الذي يصمد إليه الناس لعزِهِ ويقصدونه . ندامي : الأصحاب الشاربون ، القينة : المغنية . البُرد : ثوب وشي .

(40) ديوان طرفة بن العبد ، 44. الطريف: المال المكتسب. المتلد: ما ورث من مال.

(41) ديوان طرفة بن العبد ، 45.

(42) ديوان طرفة بن العبد ، 45 -46.

(43) ديوان طرفة بن العبد ، 48- 49.

(44) ديوان طرفة بن العبد ، 23.

(45) ديوان طرفة بن العبد ، 24. المالكية: محبوبته خولة، وهي من بني مالك بن ضبيعة. خلايا سفين: أشرعة سفن. النواصف: أماكن منبسطة واسعة. دد: اسم موضع. عدولية: السفن الكبيرة المنسوبة إلى جزيرة عَدَولى من جزر البحرين، ابن يامن: تاجر السفن من هجر. حباب الماء: أمواجه.

(46) ديوان طرفة بن العبد ، 25- 27. أحوى: ظبي في شفتيه سمرة. الخذول: المرأة التي تخذل صواحبها.

(47) ديوان طرفة بن العبد ، 28.

(48) ديوان طرفة بن العبد ، 40.

(49) ديوان طرفة بن العبد ، 40.

(50) ديوان طرفة بن العبد ، 42.

(51) ينظر: الداهي محمد سيميائية الأهواء، 236.

(52) سيميائية الأهواء ، د. محمد الداهي ، ، 256.

(53) سيميائية الأهواء من حالات الأشياء إلى حالات النفس، 51.

(54) ديوان طرفة بن العبد ، 44.

(55) ديوان طرفة بن العبد ، 52.

[56](56)ديوان طرفة بن العبد ، 44.

(57) ديوان طرفة بن العبد ، 49.

(58) ديوان طرفة بن العبد ، 58.

(59) سيميائية العواطف، 344.

(60) ينظر: سيميائية الأهواء ، د. محمد الداهي ، ، 237.

(61) ديوان طرفة بن العبد ، شرح الأعلم الشنتمري، تحقيق: درية الخطيب ولطفي الصقال، دار الثقافة والفنون، البحرين، ط2/2000م، 44.

(62) ديوان طرفة بن العبد ، 48- 49.

(63) ديوان طرفة بن العبد ، 45.

(64) ديوان طرفة بن العبد ، 49.

([65]) ديوان طرفة بن العبد ، 58.

([66]) ينظر: سيميائية الأهواء ، د. محمد الداهي ، ، 237.

([67]) ديوان طرفة بن العبد ، 53.

([68]) ديوان طرفة بن العبد ، 44.

([69])سيميائية الأهواء ، د. محمد الداهي ، 237.

([70]) ديوان طرفة بن العبد ، 45.

([71]) ديوان طرفة بن العبد ، 49.

([72]) ديوان طرفة بن العبد ، 52.

([73]) ديوان طرفة بن العبد ، 58.